http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1338) السنة السادسة -الاربعاء (8) تشرين الاول 2008

# الاحترار العالمي يؤثر فينا جميعا

بقلم: بان كي ـ مون
(الأمين العام للامم المتحدة)

بينما تجتمع بلدان مجموعة الثمانية الصناعية في هيليجندام، انقسمت القوى التي حشدت جهودها لمكافحة الاحترار العالمي الى معسكرين متنافسين. فألمانيا وبريطانيا تريدان إجراء محادثات عاجلة بشأن إبرام معاهدة جديدة عن تغير المناخ تدخل حيز النفاذ عند انتهاء صلاحية بروتوكول كيوتو في عام ٢٠١٢. وهما تتحدثان عن ضرورة اتخاذ تدابير صارمة لوضع حد لانبعاثات الكربون وحصر ارتفاع حرارة الكرة الأرضية بدرجتين مئويتين على امتداد العقود الأربعة القادمة. أما الولايات المتحدة، التي تعرض مبادرة وضعتها بنفسها، فإنها تعارض ما تعتبره أهدافا وجداول زمنية اعتباطية.

مصيرنا أن نرى كيفية تطور هذا الأمر. لكن في الوقت الذي يدور فيه النقاش بين الولايات المتحدة وأوروبا، تبقي هناك بعض الحقائق الأساسية التي لاتقبل الجدل. أولا، إن العلم واضح. فارتفاع حرارة الأرض أمر جلي لا لبس فيه، والسبب الرئيس وراءه هو نحن البشر. وكل يوم يأتينا بأدلة جديدة علي ذلك، سواء كان مصدرها آخر تقارير منظمة غرين بيس (السلام الأخضر) المتعلق بانحسار البحيرات الجليدية لجبل ايفرست، أو الاكتشاف، الأسبوع الماضي، أن المحيط المتجمد الجنوبي ما عاد قادرا على امتصاص ثاني أوكسيد الكربون. تأملوا مايلي: إن أوسع مخزن لامتصاص الكربون أصبح مليئا الى أقصاه.

ثانيا، آن أوان التحرك. فتكلفة عدم التحرك، وهذا أمر يتفق عليه معظم علماء الإقتصاد، ستتخطى تكلفة التحرك المبكر، لربما بأضعاف الأضعاف. قد تكون أولا تكون للأضرار التي خلفها إعصار كاترينا على مدنية نيو أورليتر أي علاقة بالاحترار العالمي، لكنه تنبيه مفيد الى الأثار المالية والاجتماعية التي يتركها التأخر في التحرك. ومن البديهي أيضا أنه ما عاد في وسعنا تحمل نتائج عرض خياراتنا الى ما لانهاية. إن حل اليوم، وهو تبادل الحقوق في إطلاق انبعاثات الكربون، ليس إلا أحد الأسلحة التي في حوزتنا. ويتعين أن تتضمن استراتيجيتنا الطويلة الأجل استحداث تكنولوجيا جديدة وحفظ الطاقة وتنفيذ مشاريع التشجير وصنع وقود متجدد، الى جانب إنشاء أسواق خاصة وإلى جانب التكيف مع آثار الاحترار.

ففي نهاية المطاف، لتخفيف آثار الاحترار حدود لايمكن تخطيها. وثمة حقيقة ثالثة، وهي، في رأيي، أهم الحقائق كلها. إنها مسألة أساسية تتمثل في الإنصاف، إنها مسألة قيم، وهي تأتي في عداد الواجبات الأخلاقية السامية في عصرنا هذا. إن الاحترار العالمي يؤثر فينا جميعا، غير أن تأثيره فينا يتباين. فالبلدان الغنية تمتلك الموارد والدراية الفنية للتكيف مع آثاره. في حين أن المزارع الأفريقي الذي يخسر محصوله أو قطيعه بسبب الجفاف والزوابع الرملية، أو أحد سكان جزيرة توفالو الذي يشعر بالخوف من احتمال غمر المياه قريته، هو أقل مناعة بكثير. إن الانقسام بيّن: الأغنياء . الفقراء . الشمال . الجنوب. لنقلها بصريح العبارة، لايمكن للحلول التي تقترحها البلدان المتقدمة لوضع حد للاحترار العالمي أن تكون على حساب الجيران الأقل حظا على هذا الكوكب. وإلا كيف يتسنى لنا تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية المتمثلة في خفض

نسبة الفقر بالنصف، التي وضعناها بكل جدية في الاجتماعات السابقة لمجموعة الثمانية، إذا لم تحترم تطلعات البلدان النامية لأخذ حصة أكبر من الإزدهار الذي يشهده العالم؟

ينبغي للبعد الإنساني أن يحكم كل المسائل التي يتعين علينا نحن شعوب العالم أن نواجهها معا، من بينها تغير المناخ. أعتبر ذلك واجبا، بل وامتدادا لالتزامي المقدس المتمثل في حماية الأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة. كل يوم، أمر في بهو مقر الأمم المتحدة في نيويورك حيث يعرض حاليا أشهر المصورين الصحافيين في العالم أعمالهم. إنهم يلتقطون صورا لأناس ويُسمعون أصوات أناس غالبا ما لا يُرون ولا يُسمعون، أناس من جميع أنحاء العالم، يعيش العديد منهم في ضائقة يومية خانقة، يزيدها سوءا تغيرُ المناخ.

إن نقاشاتنا في مجلس الأمن، التي كثيرا ما تكون كناية عن أعمال مملة تدار في جو من الديبلوماسية غير الشفافة، تنبض فيها الحياة فجأة . وللحظات تصبح بعيدة كل البعد عن الدبلوماسية. أذكر واقعة حدثت أثناء إحدى المناقشات في شهر نيسان ، حينما علا صوت ممثل ناميبيا، في معرض حديثه عن تصوره لأخطار تغير المناخ، قائلا: »إن المسألة ليست مسألة بحث أكاديمي، إنها مسألة حياة أو موت لبلدي«. ووصف ممثل ناميبيا كيف أن صحراء ناميب وصحراء كالاهاري تزحفان وتدمران المزارع وتحولان مناطق بأكملها إلى مناطق يتعذر السكن فيها. وهذا ما دفعني إلى التفكير ببلدي، كوريا، التي تختنق أكثر فأكثر بالزوابع الرملية الآتية من صحراء غوبي لتعصف فوق البحر الأصفر. وأضاف ممثل ناميبيا أن وباء الملاريا ينتشر في مناطق لم تكن تعرفه من قبل. وأن أنواعا من النبات والحيوان تختفي في أرض كانت مشهورة لتنوعها الأحيائي.

والبلدان النامية، مثل بلده، تتعرض أكثر فأكثر إلى ما شبهه ب»الحرب البيولوجية أو الكيميائية الخفيفة«.

إن هذه لمشاعر مؤثرة، منبعها الحياة وليس الخيال. ومن المهم لسكان البلدان المتقدمة الإصغاء وبالتالي التحرك في ضوء ذلك. هذه هي الرسالة التي سأوجهها على امتدا الأيام القادمة في هيليجندام. لذلك، سأعلن قريبا عن عقد اجتماع خاص رفيع المستوى لمعالجة تغير المناخ، وذلك في نيويورك في شهر أيلول قبل اجتماع الجمعية العامة السنوي، وهذا ما دعت إليه بنغلاديش وهولندا والنرويج والبرازيل وسنغافورة وبربادوس وكوستاريكا. ولذلك أيضا عينت مؤخراً ثلاثة مبعوثين خاصين تتمثل مهمتهم في الدفاع عن مصالح أكثر البلدان تأثرا بتبعات تغير المناخ والإعراب عن مشاغلها، هذه البلدان التي تشكل موطنا للغالبية العظمى من سكان العالم.

إني أرحب بإعلان الرئيس جورج بوش مؤخرا أنه سيطلق هو أيضا مبادرة بشأن تغير المناخ. وأحث على اطلاق هذه المبادرة في إطار المناقشة العالمية الذي وضعته الأمم المتحدة، بحيث تتكامل أعمالنا ويعزز كل منها الآخر. وفي تشرين الاول، سيجتمع قادة العالم من جديد في بالي للبناء على ما يكون قد تقرر في ألمانيا هذا الأسبوع وفي الاجتماعات اللاحقة.

لكن دعونا نتذكر، أن أي اتفاق غير عالمي النطاق تبرمه مجموعة الثمانية، لا يؤمل منه تقديم حلول لمشكلة عالمية. لقد آن الأوان لاعتماد طريقة جديدة في التفكير وفي إشراك الجميع. ولا يجوز لنا بعد الآن أن نمضي في أعمالنا وكأن شيئا لم يكن.

# الانتخابات الأمريكية... الاقتصاد أم الأمن؟

عبد الحميد صيام

يشارك المواطن الامريكي في العديد من الانتخابات المحلية والفدرالية( على مستوى الوطن). فكل المواقع التمثيلية تتم عن طريق الانتخابات لا يستثنى من ذلك رئيس بلدية قرية صغيرة أو حاكم ولاية كبيرة مثل تكساس أو كاليفورنيا. وهناك ثلاثة مستويات من الانتخابات الدورية لارسال ممثلين إلى واشنطن لادارة السلطتين التشريعية والتفيذية وهي:

١) انتخابات تجري في جميع الولايات الخمسين كل سنتين مرة لانتخاب أعضاء مجلس النواب وعددهم ٤٣٥ عضوا. تتمثل الولايات في هذه الانتخابات حسب حجمها السكاني، فقد يصل العدد إلى ٥٣ ممثلا كما هو الحال في ولاية كاليفورنيا وقد ينخفض إلى ممثل واحد كولايتي دلوير وويومونغ.

٢) انتخابات تجري كل أربع سنوات مرة لاختيار رئيس البلاد ونائبه

٣) انتخابات تجري كل ست سنوات مرة لاختيار أعضاء مجلس الشيوخ المائة حيث يتساوى تمثيل الولايات باثنين عن كل ولاية، لا فرق بين ولاية كبيرة أو صغيرة لا من حيث المساحة ولا من حيث عدد السكان.

ومن المعروف أن مجلسي النواب والشيوخ يضمهما اسم الكونغرس. ويتقاسم المجلسان المسؤولية التشريعية، إلا أن العديد من المسائل بعد مناقشتها في أحد المجلسين تمر إلى المجلس الاخر للمصادقة عليها. وفي المسائل المهمة لا يتم اعتمادها إلا بعد التصويت عليها في المجلسين. ولكن هذه المسألة ليست موضوع بحثنا هذا وقد نعود إليها في وقت لاحق. فموضوع المقال هو الانتخابات الرئاسية التي تتكرر مرة كل أربع سنوات وهو ما تشهده الولايات المتحدة حاليا، حيث يجري سباق محموم بين مرشح الحزب الديمقراطي باراك أوباما ومرشح الحزب الجمهوري جون ماكين.

الانتخابات الرئاسية الحالية

لم يحدث في التاريخ الحديث للولايات المتحدة أن جرى مثل هذا الاهتمام بالسباق نحو البيت الابيض منذ انتخابات عام ١٩٦٠ حين تقدم حينذاك شاب كاثوليكي أول مرة مرشحا عن الحزب الديمقراطي في بلد غالبيته الساحقة من البروتستانت. كان ذلك الشاب جون كنيدي ابن الثالثة والاربعين ربيعا الذي اغتيل في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٣ في ظروف غامضة لم تحسم نهائيا حتى الان رغم العديد من الفرضيات والنظريات والافلام والوثائق التي تناولت الحادثة.

فقد سجلت الانتخابات التمهيدية الاخيرة حالات غير مسبوقة تسجل لصالح المتقدمين للترشح باسم الحزبين.

١. فأول مرة كادت أن تفوز إمرأة بترشيح حزبها للانتخابات الرئاسية وظلت تتنافس السيدة الاولى السابقة وعضو مجلس الشيوخ هيلاري كلنتون مع باراك أوباما حتى اللحظة ألاخيرة.

أقصى موقع تمثيلي تقدمت إليه إمرأة كان موقع نائب الرئيس عندما ترشحت جيرالدين فيرارو لهذا الموقع مع مرشح الرئاسة والتر مونديل عام ١٩٨٤ وفشل الفريق أمام الشعبية العارمة التي أعادت الرئيس رولاند ريغان لدورة ثانية. فالسيدة كلنتون كادت تحسم ترشيح الحزب الديمقراطي لصالحها، إلا أنها في آخر الامر اضطرت للانسحاب من معركة الترشح باسم الحزب وتعلن هي وزوجها الرئيس السابق بل كلنتون تأييدهما لاوباما

٢. أول مرة ينجح شاب أسود في الترشح باسم الحزب الديمقراطي في سابقة تعد تاريخية بكل المقاييس حتى لو لم يكسب معركة الرئاسة. فهذه الفئة التي ساهمت بعرقها ودمائها في بناء هذه البلاد لم يكن مسموحا لها المشاركة في العملية الانتخابية بشكل شامل حتى عام ١٩٦٨ عندما أقر لندن جونسون قانون الانتخابات الجديد بعد حركة الحقوق المدنية التي قادها مارتن لوثر كنغ.

٣. أول مرة كذلك يفوز بترشيح الحزب الجمهوري رجل تجاوز الثانية والسبعين من عمره، جون ماكين، الذي يعتبر في نظر الكثيرين أنه بطل قومي شارك في حرب فيتنام وأسقطت طائرته مرتين وقضي في الاسر خمس سنوات. إن أكبر من ترشح لمنصب الرئاسة كان رولاند ريغان عام ١٩٨٢ وكان عمره آنذاك ٦٨ سنة وقد ظهرت علية علامات مرض النسيان (الزهايمر) في نهاية دورته الثانية في البيت الابيض.

إذن هذه الانتخابات تاريخية بكل المقاييس وهي تأتي على خلفية عدد من التحديات والمشاكل الخطيرة التي تعصف بالمجتمع الامريكي وتهدده في رفاهيته وسلمه الداخلي وأساليب معيشته واقتصاده والقيمة الشرائية لدولاره وأسواقه الاستثمارية.

وأخطر هذه المشاكل أربعة: الحرب على العراق وأفغانستان تحت يافطة ما يسمى الحرب على الارهاب حيث تحول المجتمع الامريكي من غالبية ساحقة تؤيد الحرب إلى أقلية خجولة تخبئ رأسها تحت مسميات ضبابية وغير مقنعة برغم حملات الاعلام التي يشنها أنصار التشدد والمواجهة بهدف التهويل من خطر الارهاب والتطرف الاسلامي. وتقف محطة «فوكس نيوز» منبرا صاخبا لهذا الاتجاه.

والمشكلة الثانية التي يرزح تحت عبئها ملايين الامريكيين هي ارتفاع الاسعار وخاصة المحروقات بشكل لم يسبق له مثيل. ويبدو أن ارتفاع الاسعار في ارتفاع مطرد ولا يبدو أن في الافق انفراجا بل من المؤكد أن الازمة الاقتصادية ما زالت تتفاقم كل يوم. وما انهيار بنك «الاخوة ليمان» رابع أكبر بنوك الولايات المتحدة إلاّ مؤشرا هاما لهشاشة الوضع الاقتصادي. وبسبب الاوضاع الاقتصادية المتردية ارتفعت نسبة البطالة إلى ٦,١٪ وهو أعلى مستوى منذ أكثر من عشرين سنة.

المشكلة الثالثة هي انهيار قروض السوق العقاري حيث تبين أن الازمة أكبر مما تخيلها الجميع بحيث أن آثارها امتدت لتطال الاسواق العقارية في العالم أجمع مما دعا البنك الدولي وصندوق النقد الدولي إلى عقد اجتماع خاص بالازمة وإصدار تحذير من عواقبها والتي تجاوزت في خسائرها تسعمائة مليار دولار وعدّاد الخسائر ما زال مصوبا سهمه إلى الاعلى.

والمشكلة الرابعة التي تعيشها البلاد تتمثل في العجز غير المسبوق في ميزانية الدولة والذي تجاوز ألفي مليار دولار أو أكثر. هذا العجز غير المسبوق يقارنه الامريكي بميزانية غنية تسلمها الرئيس بوش من خلفه بيل كلنتون فيها فائض بقيمة أربعمائة مليار دولار.

فمن هو أكثر المرشحين حظا للفوز بمعركة الانتخابات الرئاسية؟

أمام الحزب الديمقراطي فرصة ذهبية لحسم الانتخابات لصالح مرشحه باراك أوباما ونائبه جوزف بايدن وهزيمة الرجل العجوز ماكين ونائبته عديمة الخبرة والمعرفة ساره بيلين بسبب المشاكل الكبرى السابقة التي ورط الحزب الجمهوري البلاد فيها في السنوات الثمانية الماضية. إضافة إلى عدد من الفضائح المالية والاخلاقية التي عصفت بالحزب الجمهوري وضربت كثيرا من مصداقيته وادعائه بحمل راية المبادئ والاخلاق والقيم العائلية والدينية.

وللهروب من هذا المأزق الذي يعيشه الحزب اتخذت حملة ماكين الانتخابية منحى سلبيا يتهم فيه أوباما بقلة الخبرة وعدم قدرته على أن يصبح قائدا أعلى للقوات المسلحة التي تخوض حربين متزامنتين في العراق وأفغانستان. كما يؤكد أن أوباما لا يتمتع بالحسم والقوة والخبرة لحماية أمن البلاد من الاخطار الخارجية وخاصة « الارهاب والتطرف الاسلاميين» ويؤكد أن الحرب في العراق على أبواب الحسم العسكري لصالح الولايات المتحدة وانه الاكثر أهلية لتتويج هذه الحرب بالانتصار النهائي.

أوباما من جهته يركز على الاقتصاد الذي أوصلته إدارة بوش إلى حافة الهاوية ويعد الناخبين بإصلاح ما أفسده الجمهوريون. فانتخاب ماكين عبارة عن تقديم جائزة للحزب الجمهوري الذي أوصل البلاد إلى شفير الانهيار وورطها في حروب غير مضمونة النتائج استنفذت لغاية الان سبعمائة مليار دولار اقتطعت من قوت الشعب الامريكي وضرائبه وأموال الضمان الاجتماعي وغيرها.

وأما عن الخبرة فهي ليست أهم من صحة الرؤية واتخاذ القرار السليم في الوقت المناسب حيث صوّت أوباما ضد الحرب على العراق بينما انجرّ أصحاب الخبرة لتأييد تلك الحرب. والنقص في الخبرة قد سدّه باختيار واحد من أفضل وأنقى أعضاء مجلس الشيوخ وهو جوزف بايدن رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس. وكيف يجرؤ، ماكين على انتقاد قلة الخبرة لدى أوباما ثم يختار نائبة له كل خبرتها تركزت في إدارة بلدة لا يتجاوز سكانها سبعة آلاف نسمة في ولاية معزولة جغرافيا لا يصل سكانها إلى ثلاثة أرباع المليون.

استطلاعات الرأي لغاية الان تشير إلى تفوق بسيط لاوباما على ماكين لكن المؤكد أنه لو حدث وفشل المرشح الديمقراطي في حسم الانتخابات الحالية لصالحه سيكون نتيجة لاحد عاملين أساسيين أو لكليهما:

أولا: عامل اللون... ومع أنني أومن، بحكم التجربة والمتابعة، أن الغالبية الساحقة من الشعب الامريكي قد تجاوزت قضية اللون والجنس إلا أنني قد أكتشف، أنا والكثيرون ممن يشاركوني الرأي، أن اللون ما زال عاملا مهما في اختيار المرشح المناسب للبيت الابيض.

ثانيا: قد تطغى القضايا الامنية على الاوضاع العالمية والامريكية في الاسابيع القادمة بحيث يعود الهاجس الامني في مقدمة أولويات الشعب الامريكي. فحادثة الهجوم على السفارة اليمنية يوم الاربعاء الماضي والهجوم على فندق ماريوت في إسلام أباد يوم السبت الماضي ومقتل أمريكيين أو أكثر وهجومات مشابهة أخرى أو أشرطة تذاع قبل الانتخابات بأيام، كما حدث عام ٢٠٠٤، لا شك أنها ستخدم المرشح الجمهوري وقد تقلب دفة الميزان لصالحه في الايام الاخيرة الباقية قبل الرابع من تشرين الثاني القادم.

# العصابات لاعب جديد في العلاقات الدولية

خالد السرجاني

المتابع للتطورات الدولية الأخيرة سوف يلاحظ أن هناك لاعبا جديداً أصبح يتشكل في العلاقات الدولية ينضم إلى اللاعبين التقليديين مثل الدولة أو المنظمات الدولية أو اللاعبين غير التقليديين مثل القوى غير الرسمية التي أصبحت لاعباً فاعلاً في التطورات الدولية في السنوات الأخيرة وعلى الأخص منذ انتهاء الحرب الباردة، مثل التنظيمات الإرهابية.

وعلى رأسها تنظيم القاعدة وبعض الأحزاب الإيديولوجية مثل حزب الله اللبناني والجهاد الإسلامي وحماس الفلسطينيين، وبعض القوى الاثنية في دول العالم الثالث التي تخوض حروباً من أجل الحصول على الحكم الذاتي أو الانفصال عن دول كبيرة، وهذه القوى غير الرسمية أصبحت فاعلة في العلاقات الدولية لأن القوى التقليدية مثل الدولة أو المنظمات الدولية أصبحت تعترف بها وتتعامل وتتحاور معها بصورة مباشرة في أغلب الأحيان.

وتعقد معها الصفقات في أحيان أخرى وتضع اعتباراً لمواقفها عندما تتخذ قرارات سياسية أو اقتصادية بما جعل منها فاعلاً رئيساً في التطورات الدولية على الرغم من عدم الاعتراف الرسمي بها من المجتمع الدولي.

وهي عمليات تتطلب أحياناً جهداً دولياً جماعياً للتصدي لها، وهذه العمليات كانت نشطة في الصحراء الغربية حيث الجزائر والمغرب لكنها انتقلت أخيراً إلى مصر مع عملية خطف السياح الألمان والإيطاليين قرب أسوان بها في شهر رمضان الماضي.

وهى عمليات تتطلب في غالب الأحيان تنسيقاً دولياً جماعياً للتصدي لها وإنهائها كما حدث من قبل في أكثر من عملية مشابهة آخرها العملية الأخيرة التي وقعت في مصر.

أما اللاعب الدولي الذي انضم حديثاً إلى القائمة فيضم كلاً من العصابات التي تنشط في عمليات خطف رعايا الدول المتقدمة من أجل الحصول على فدية والقراصنة الذين أصبحوا نشطين جداً في البحر الأحمر وتتوالى عمليات خطفهم للسفن لتصل أحياناً إلى أربع عمليات في اليوم، الأمر الذي دفع الاتحاد الأوروبي لأن يتخذ إجراءات جماعية للتصدي لهذا الخطر.

حيث أعلن وزير الدفاع الفرنسي، هيرف موران، أن الاتحاد وافق على إرسال قوات أكثر من ثمان من الدول الأعضاء لتقوم بعمليات أمنية ضد أعمال القرصنة قبالة السواحل الصومالية.

وقال موران: «هناك استعداد أوروبي واسع جداً لهذا الأمر، إذ يود العديد من الدول المشاركة بالعملية».

وأضاف الوزير، الذي كان يتحدث في أعقاب اجتماع لوزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، قائلاً: «لقد حصلنا على تفويض بمواصلة التخطيط لشن مثل هذه العملية خلال شهر تشرين الثاني المقبل». وجاء الإعلان عن الخطوة بعد أن أفاد المجلس الدولي للملاحة (آي إم بي) ان القراصنة قاموا خلال ليلة واحدة بثلاث محاولات لاحتجاز سفن أخرى في المنطقة.

فقد ذكر القبطان بوتينجال موكوندان من المجلس أن «هنالك هجمات متواصلة للقراصنة على السفن المبحرة في خليج عدن وقبالة السواحل الصومالية».

والتشكيلات العصابية الجديدة التي تنشط في الصحراء والبحر تختلف عن التشكيلات العصابية التقليدية في أنها أكثر تنظيماً ويستغرق التخطيط والإعداد لعملياتها وقتاً طويلاً وعملياتها ناجحة في معظم الأحيان، وهناك من يرى أنها تضم ضباطاً سابقين في جيوش الدول التي تنتمي إليها وأنها تستعين بتكنولوجيا متقدمة في عملياتها.

ومهما يكن من أمر فان المؤكد أنها استطاعت أن تفرض نفسها كلاعب رئيس في العلاقات الدولية وذلك عن طريق اعتراف الدول التي تفاوضت معها من أجل دفع الفدية أو المنظمات التي تراقب أنشطتها أو المنظمات التي تبحث عن سبل لمواجهتها عبر إجراءات متعددة الأطراف.

وهناك من يقول ان مثل هذه العصابات هي من بقايا دول أو أنظمة تهاوت، وهناك من يقول انها استخدمت في بعض الأحيان من دول لمواجهة قوى مارقة عن الدولة وبالتالي فهي اكتسبت قوتها وخبرتها من هذا الوضع الاستثنائي.

ولسنا في حاجة إلى التأكيد أنها تمثل خطورة على الوضع الدولي ليس لأنها تقوم بعمليات خارجة عن القانون فحسب ولكن لما تحدثه من فوضى وعدم استقرار للوضع الدولي الإقليمي في عدة مناطق من العالم هي مناطق تشهد صراعات دولية وإقليمية تتطلب من القوى الدولية الحقيقية التركيز فيها مثل الحرب ضد الإرهاب ومثل احتواء مناطق الصراع في القرن الإفريقي وجنوب البحر الأحمر.

# المدافع الأميركية إلى الشرق در

امين قمورية

واشنطن تعطي الهند ما لايحق لايران وكوريا الشمالية او حتى مصر اخذه. تنهي حظرا مفروضا منذ ثلاثة عقود على تجارتها النووية مع نيودلهي وتسمح لها بولوج السوق النووية العالمية والحصول على المواد المشعة بارخص الاثمان.

الود الاميركي للهند قائم لكنه ليس قديما ولاراسخا. انما تحوله حبا جارفا بصورة فجائية يطرح اكثر من علامة استفهام.

حتما انه لايستهدف باكستان، وان تكن واشنطن تخشى ان تفلت من بين يديها اسلام اباد الحليفة التي لابد منها في حربها المعلنة على الارهاب كممر الزامي نحو افغانستان التي عادت اليوم العنوان الابرز لتلك الحرب. وحتما لا يراد من وراء هذا الحب الجديد كسر الجارة الجنوبية للهند سري لانكا، ولا المالديف.

الصين امتعضت حيال التحول لكنها كظمت غيظها من هذا التحول الذي لاترى مبررا له سوى حصارها بالنوويين وخلق عملاق آسيوي على حدودها، لموازاتها . فهي من جهة لن تغامر في دفع جارتها نيودلهي الى الارتماء في الاحضان الاميركية باستفزازها بامر ملح طالما سعت اليه، ومن جهة اخرى لاتريد ان تجد نفسها في الوقت غير المناسب، في مواجهة غير مناسبة مع جارتها الصاعدة التي باتت الآن تجاريها طاقة بشرية وقدرة صناعية وامكانات تكنولوجية هائلة .

كان يمكن الاتفاق الاميركي ـــ الهندي الجديد ان يكون، بالنسبة الى بيجينغ، امراً عابرا ومرحليا لو انه لم يتزامن مع اتفاق اميركي آخر مع تايوان، عقدة الصين الكبرى، يمد هذه الجزيرة التي تمسك ببوابة بحر الصين باسلحة تزيد قيمتها على ستة مليارات دولار لتحسين قدراتها الدفاعية او الهجومية، لافرق، وهي حتما اسلحة لاتستهدف استفزاز ماكاو ولا جزر السلمون اومكرونيزيا.

وهكذا تجد الصين نفسها مطوقة جنوبا من الهند، وشرقا من تايوان، وغربا من الوجود العسكري الغربي الكثيف والمرشح للازدياد في افغانستان التي ما عاد يعرف ما اذا كان هذا التجييش على اراضيها يستهدف الدور المتنامي للصين او الاصولية المتشددة بعدما فتح رئيسها حميد كرزاي (بموافقة اكيدة من الاميركيين) باب التفاوض غير المباشر مع اسامة بن لادن بواسطة اصدقائه الطالبانيين. والامر يبدو انه لايقف عند هذا الحد، اذ لاتزال الجبهة الشمالية الصينية مفتوحة فلماذا لاتملأ بدول من آسيا الوسطى حيث تذكرت كوندوليزا رايس قازاقستان فزارتها مذكرة اياها بان زمن الاتحاد السوفياتي انتهى ولايحق لروسيا وراثته. وهكذا ايضا تصيب عصفورين بحجر واحد: الصين وروسيا التي بدورها لها حساب آخر بعدما كابرت في جورجيا وقررت التحدي والانتفاض على احادية واشنطن.

مدافع اميركية تنصب الصين، ومثلها ينصب حول روسيا المطوقة بمنظومة الصواريخ في تشيكيا وبولونيا التي لم يعد احدا يشك، بعد الذي جرى في جورجيا، انها وضعت في اوروبا الشرقية للضغط على ايران! كذلك بجر الدول الاقرب الى موسكو وقلبها مثل اوكرانيا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا الواحدة تلو الاخرى الى المعسكر الاطلسي لتشهر السلاح في وجه شقيقتها الكبرى. وهكذا تحارب الصين من داخل ارضها التايوانية، وروسيا من داخل دول حلف فرصوفيا السابق، وتنقل اي معركة محتملة الى داخل بيت كل منهما المدافع الاميركية تنقل من مكان الى آخر وان لم يسمع صوتها الان ، و»الحرب الخفية» التي تخوضها موسكو بصوت عال، وبيجينغ بالصمت المبين يختفي «ضجيجها» خلف اصوات ازمة القرن المالية التي في ظل الاجواء السياسية المحمومة والسباق الاقتصادي يمكن ان تقود العالم الى تكرار ماحدث في ١٩٢٩ وماجرجرته من احداث خطيرة بعد ذلك غيّرت وجه الارض.

وفي انتظار ماستؤول اليه التحديات الجديدة المفروضة على العالم، ونقل المدافع الى الشرق البعيد، يبدو ان الشرق الاوسط سيكون للمرة الاولى في التاريخ المعاصر خارج اللعبة الكبرى وفي هدنة موقتة ريثما يعاد رسم ساحات الصراع.